إضاءة

صلاح الدّين كشريد تأويلُ ما يخفّف الحيرة

صيدليّ يترجم الكتاب

إذا كان القرآن «غير قابل للترجمة»، كما رأى صلاح الدين كشريد، فإنّ تأويل آياته بالاستناد إلى التفاسير قد يساعد على إتاحة معانيها للمسلمين الذين يقرأون بالفرنسية. على هذا المبدأ سار صاحب «الوجه الحقيقي للإسلام»، الذي أولى جهداً لرصد أخطاء المستشرقين

نجم الدين خلف الله

كان صلاح الدّين كشريد (1924-2012) صيدلانيّاً. تلقّى تكوينَه العلميّ في جامعات الطبّ ومُختبراته بفرنسا، كلّه بإتقان مُدهش للغة موليير، بعد أن تمكّن من الضّاد والعلوم الدينيّة، إذ نشأ في إحدى عائلات العلم الغريقة بمدينة القَيْروان التونسيّة. كان الرّجل في شبابه، رغم حِذقه للّسان الفرنسي، رافضاً لمشاريع طمس الثقافة العربيّة، مدافعاً عن تواؤم الإسلام مع الحداثة، وألّف في ذلك كتابَيْن: «الوجه الحقيقي للإسلام» و«أسس وقواعد المدينة الإسلاميّة».

فما كان من أحد أعلام الزيتونة المتأخّرين، الشيخ الحبيب المستاوي (1923-1975)، منشئ مجلّة «جوهر الإسلام»، التي أسّسها لمجابهة حملات التغريب، عبر قَسمَيْها العربي والفرنسي، إلّا أن عرض عليه نَشْر ترجمة أجزاء القرآن تباعاً في مَجلّته، من أجل إشاعتها في أوساط الشباب. وافق الرّجل على الفكرة وانكبّ على العمل طوال خمس سنوات، إلى جانب مُزاولة الصّيدلة، حتى أتمّ الترجمة كاملة، وطُبعت سنة 1982، في دار «الغرب الإسلامي»، للناشر التونسي المقيم في بيروت الحبيب اللمسي. وقد أسهمت هذه الدار في طبع آثار علماء الإسلام في المغرب العربي، قديمهم وحديثهم.

وانتشرت، بعد ذلك، هذه التّرجمة لدى مسلمي فرنسا وبلجيكا والأقطار الإفريقيّة الناطقة بالفرنسيّة، وأعيدت طبعاتها مرات، لكثرة الإقبال عليها. وقد تميّزت بتيسير معاني القرآن الكريم، بعد أن أدرك كشريد أنّ جمهور قرّائه من المسلمين أساساً، فتوجّه لهم بنقل أمين مُبَسّط، قاطعاً مع التراكيب المعقّدة التي سار عليها المستشرقون من قبيل، مثل ريجيس بلاشير (1908-1978)، ومع الصياغات الأسلوبيّة التي، من فَرط تعقيدها، لا يفقهها حتّى الفرنسيون أنفسهم. كذلك تجنّب المفردات الغَنيّة التي طالما حشَوْا بها ترجماتهم، لأنّها تنحدر من الرّصيد المسيحي، الذي غالباً ما لا ينطبق على التّقليد الإسلاميّ ومقولاته.

أما العنوان الذي أسنده إلى ترجمته، فهو «مدخل إلى التأويل الموضوعيّ لنصّ غير قابل للترجمة: القرآن الكريم»، وكأنما أراد بهذا العنوان الطويل بيانَ منطلقات عمله. فهو يقرّ باستحالة ترجمة كلام الله، بالنظر إلى ما في القرآن من خصائص أسلوبيّة: ليس أدناها الإيقاع، وأعلاها المعنى الرّبّاني الذي لا يُدرَك، مروراً بدقائق السّبك وصور المجاز. وأمّا كلمة «موضوعي»، ففيها نقدٌ مبطّن لما في ترجمات بعض الأوروبيين من تحامل وتحريف وأخطاء، بلغت أوْج الرّداءة في ترجمة أندري شوراكي (1917-2007).

هذا وقد صدّر ترجمته بمقدّمة بيّن فيها غايتَه من هذا العمل: «إهداء طوق نجاة للإنسانيّة قاطبة، الغارقة في أُجج الحيرة، عساها تجد ما تتعلّق به». كذلك تعرّض خلالها لتاريخ الترجمات الفرنسيّة السابقة للقرآن، عارياً عزوفَ المسلمين عن النّهوض بهذا العمل إلى توَرّعهم عن ادّعاء نقل آيات القرآن المعجزة إلى لغة أجنبيّة. إذ من «الجنون والغُلوّ» أن يريد الإنسان تَرجمة «الكتاب» إلى لغة بشريّة، تحلّ محلّه وتعوّضه». إلّا أنه ردّ على هذه الدعوى معتبراً أنّ من الضروري أن ينجز العرب، المسلمون هذه المهمّة الجليلة، فليس أحدٌ أقدر منهم على تذوّق لطائف البيان وجمالياته، وإن أدرك غيرهم معانيه عقليّاً. وختَم تمهيده بالتعبير عن تهيّبه من الإقدام على الترجمة خشيةَ أن يقع في خيانة الأسلوب، فلا يعيد من جماليته إلّا شأواً بسيطاً.

وقد ألى كشريد على نفسه ألّا يتوخّا على أيّ ترجمة سابقة، عدا ترجمة محمد حميد الله (1910-1996)، وكتاب «معجم الألفاظ والأعلام القرآنية» لمحمد إسماعيل إبراهيم، مؤكّداً أنّ ترجمته هذه تظلّ مجرّد تأويل، فالنقل من لغة إلى أخرى، شأنُ التفسير، بحثٌ عن المعنى وانتقاء له من جملة ممكنات يوفرها النصّ الأول، وجلّها محتملٌ ومرادٌ. ولهذا، اعتمد على تفسير «زاد المسير» لابن الجوزيّ (1116-1201)، من القدماء، وعلى تفسير مصطفى المراغي (1881-1945) من المُحدثين، في حلّ معضلات القرآن وانتقاء المعنى الأنسب. وإذا تعسّر عليه أمرُ الدلالة، عاد إلى تفسير «الجلالَيْن» وإلى «ظلال» سيّد قطب.

وتميّزت هذه الترجمة أيضاً، بإظهار النَّفَس العلميّ في القرآن، إذ بحُكم التنشئة العلميّة لصلاح الدين كشريد، التي اطّلَع من خلالها على حقائق العلم وظواهر الكون، ترسَّخت لديه قناعة، مثل تلك التي عبّر عنها موريس بوكاي، في ذات الحقبة، في كتابه «الإنجيل والقرآن والعلم» (1976)، مفادها أنّ نظريات العلم الحديث لا تعارض حقائق التنزيل، بل تدعمها وتُجليها، ولا تثقل كاهل تأويلها.

مُترجم القرآن هنا مسلمٌ مؤمن، لم يَمنعه إيمانه من نقل معاني الكتاب بأمانة، بل إنه ساعده على تتبّع سقطات المترجمين المقصودة منها واللاواعية، التي أشار إليها الباحث محمود طرشونة في مقاله «اختلاف ترجمات القرآن الكريم: الفُصول والغايات» (2018)، فتحاشى ما ذهبوا إليه من غريب الاختيارات لتبرير عقائدهم هُم وإنطاق القرآن بها، بل للترويج لنظريات ما وراء-نَصّية، مثل القول إنّ القرآن استنسَخَ ما في التوراة والإنجيل أو إنه توكّأ على لُغة السّريان. وكُلّ هذا جعل من ترجمة كشريد جزءاً من النضال الفكري: ذلك أن ترجمة حميد الله، مع أنها أسبق، فإنّها ظلّت في رفوف النّخبة، ولم تُطبع طبعاتٍ واسعة تلبّي انتظار جُمهور عريض، كذلك فإنها بقيت عالِقة، محكومة بطبيعة القارئ الجامعيّ الذي تُوجّهت إليه ابتداءً.

ولم تَقتصر آثار صلاح الدين كشريد على ترجمة القرآن، بل نشط كثيراً في الكتابة الملتزمة، مثل «تأمّلات مسلم صادق»، ونَقل العديد من النصوص الإسلاميّة، منها «رياض الصالحين» (1990)، «الحلال والحرام في الإسلام» ليوسف القرضاوي (1990) و«تعليم الصلاة» (2008) لمحمد محمود الصوّاف وغيرها. ومع ذلك، ظلّ مغموراً لدى القارئ العربي لأنّه يكتب بالفرنسية. ولعلّه أنّ الأوان لأن يُفكّر في نَقل آثاره الفرنسيّة إلى الضّاد حتى تفيد في إثراء النقاش الحالي حول قضايا مصيريّة كالهويّة والعلمانيّة في مجتمعاتنا.

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

«عالِم ففيه يقرأ القرآن»، علمان حمدي باي، زيت على قماش (1902)

ترجمة امينة ومبسّطة تقطع مع اساليب المستشرقين المعقّدة

اراد ان يُظهر ما في القرآن من توافق مع حقائق العلم

إتاحة المعاني

منذ صدور اولى محاولات ترجمة القرآن، منتصف القرن السابع عشر، بتوقيع اندريه دو ريير، تقدّم لهذه المهمة عشرات المترجمين، لنصل اليوم الى ما يزيد عن 100 ترجمة مختلفة. وفي حين مال بعض المستشرقين الى ترجمة علمانيّة للقرآن، بحيث محصورة بالنخبة وشاهد بعضها اخطاء وتحريفا، فإنّ مترجمين مسلمين توخّوا مهمّة اتاحة معانيه وتبسيطها للجمهور الواسع. ترجمة صلاح الدين كشريد من هذه الترجمات، وهي واحدة من اكثرها انتشارا.

يوميات

قبل سبعة أعوام في القدس

نيّة بالذهاب إلى «عيدٍ» آخر

كان الاسبوع الاخير من رمضان فرصة للوصول الى القُدس والمبيت داخل الباحات. ما زلنا نذكر اعوام كيف بدت تلك الايام، خاصّة ليلة عيد الفِطر

ساند نجم

بعد أن فتّشوا حقائبنا، واوقفونا على أكثر من حاجز عسكري بين الأزقّة القديمة، للسؤال عن «التصريح» تارة، وأخرى للاطمئنان من أننا لسنا يهوداً، ضلّوا طريقهم بالاتجاه إلى الأقصى. أذكر وقتها كم ضحكنا حين استنطقنا ضابطٌ «إسرائيلي» ليتأكّد من ذلك، وضحكنا أكثر حين استنطقنا أحد حُرّاس الأقصى بعد دخولنا باب الأسباط.

كان الأسبوع الأخير من شهر رمضان فرصةً ذهبية للوصول إلى القُدس والمبيت في الباحات. ما زلنا نذكر قبل سبعة أعوام كيف بدت تلك الأيام، خاصّةً ليلة عيد الفِطر. أعلن المؤذّن عبر المُكبّرات حلول العيد، وتلوّنت زاوية السماء بالمفرقعات. حينها، وقف مقدسيّ مُسن بعد صلاة العشاء يهتف في النّاس: «فلتَحي سُنّة أغفلها كثيرون، ولنطُف في أزقّة وأسواق القدس القديمة، نحتفل بالعيد».

التحقنا والموكبُ يموج بهجة، تدفّقنا من باب السلسلة، النّصف المستعمرون المُسلّحون بآلات استعمارهم بالحائط، خوفاً من هُتافنا نحن أهل المكان. لقد كانوا خائفين. نعم، قرأنا هذا في أعينهم ووجوههم المخطوفة، وفي هروبهم من المداخل وعلى أطراف الطريق، حتّى إنّ بعضهم عُجن بيننا. الحقيقة أنه لم يسبق أن شعرنا بعيدٍ قبل هذا، لقد كان نصراً.

سهرنا تلك الليلة حتى مطلع الفجر ونحن نضحك، وكان لافتاً وجودُ كثير من السودانيين، كانوا يتجنّبون الاحتكاك بأيّ شخص منّا، وكُنّا نتفهّم الأمر على نحوٍ أن وجودهم «غير شرعي» - بتوصيف الاحتلال - وبالتالي قد يُكلّف تواصلهم معنا الاعتقال أو الترحيل الفوري، علماً أنّ عبد الفتّاح البُرهان لم يكن قد تولّى حينها رئاسة المجلس السيادي السوداني الذي طبّع علاقاته مع «إسرائيل»، لكنّ حكومة الاحتلال كانت تستغلّ السواعد السمراء الرخيصة في العمل، لذا تغاضت عن وجودهم فترة من الزمن.

في اليوم التالي، جلستُ في ساحة المُصلّى المرواني ووجهي لـ «الصخرة»، أراقب الشمس تُصافح القُبّة المُذهّبة. كان للتكبيرات مذاقٌ مختلف، صلّينا العيد، وفي طريق عودتنا خارج السُّور، أفطرنا على كعك القُدس والشاي بالميرمية عند باب العامود، وركبنا الحافلة. كانت عيوني لا تُفارق القُبّة الذهبية التي تطلّ من خلف السّور. وفي استذكار اللحظة، يُباغتني صوْتُ صديقنا الشاعر في قصيدته «قُدس»: «عندما أغادرُكِ أتَحجّر/ وعندما أعود إليكِ أتَحجّر».

عُدنا قبل عدّة أشهر إلى القدس، وكانت كُلّ التفاصيل مُتحجّرة. استرقنا الوقت أنا وشقيقي للذهاب إلى الأقصى، في يوم كان يتملّكنا فيه الخوفُ والقلقُ والأعصاب المُحترقة على صحّة والدنا الذي كان يرقد في مستشفى المقاصد، وكان التفتيش والتدقيق مُكثّفاً أكثر من ذي قبل. وكانت الأجواء العامة مُتوتّرة ومشحونة بوباء «كورونا»، وجولة لشخصيات «عربية» في القدس، وقعتْ صكّ التطبيع مع العدو وزارتْ يافا، المدينة التي شرّدنا منها ولا نستيطع زيارتها.

مع نهاية شهر رمضان هذا العام، أشعل التلفاز بروح مُنطفئة. هناك تشديد على ذهاب «أهل الضفّة» إلى القدس. أشاهدُ خُطاباً لرئيس السُلطة يُمدّد بقاءه، يقول: «لا انتخابات بدون القُدس». أقاطعه مُغلقاً التلفاز وأحذف بـ«الريموت» جانباً. أتصفّح الهاتف، وتنهمر مقاطع الفيديو لمقدسيّين يخوضون حريهم وحديدين في الشارع، يُسخلون ويُعتقلون عند باب العامود، وكذلك يهبّون ويركلون عساكر الاحتلال.

صوتُ الشاعر ذاته، مستطرداً: «فليذهب إلى الجحيم مُبَجّلوك، بائعو تذكارات أليك».

تختلط عليّ المشاعر وفق الفيديو الذي يحضُر، فأفرح وأضيق ذرعاً في اللحظة ذاتها، وتتجدّد الأخبار في تدفّقها عبر الشاشة؛ هذه المرّة عن بَدْء سلطات الاحتلال بتنفيذ مخطّطاتها لإخلاء منازل 58 عائلة مقدسية في حي الشيخ جرّاح.

أرمي الهاتف وقد انتصف الليل، وتُساورني نيّةٌ بالذهاب إلى «عيدٍ» آخر، عيد انتظرناه طويلاً.

(كاتب من فلسطين)

افطرنا على كعك القُدس والشاي بالميرمية عند باب العامود

«عاصمتي»، نبيل عناني، اكريليك على قماش (2014)

رحيل

جاك بوفرس كان مدافعاً عن اللغة والذهن

الفلسفة بوصفها رياضة

كان الفيلسوف الفرنسي، الذي رحل مطلع هذا الاسبوع، من أوّل الذين التفتوا إلى الفلسفة التحليلية في بلاده، ومن أكثرهم دفاعاً عنها

باريس ـ العربي الجديد

هل كان جاك بوفرس، المولود عام 1940 في عائلة فلّاحين، فقيرة، في قرية إيبنوا (لا يتجاوز عدد سكّانها، اليوم، الـ700 نسمة)، يتخيّل في صغره أنه سيصبح يوماً أستاذاً للفلسفة في «كولّج دو فرانس»، أرقى مؤسّسات البحث والتعليم في فرنسا؟ لم يترك الفيلسوف، الذي رحل عن عالمنا مطلع هذا الأسبوع عن واحد وثمانين عاماً، كتابَ مذكّرات لكي نبحث فيه عن إجابة. وعلى أيّ حال، فإنّ وصول ابن عائلة فقيرة إلى أعلى مراتب التحصيل العلمي والبحث في فرنسا يبقى أمراً نادراً، لا يخترقه إلّا قليلون استطاعوا تقديم إضافة فكرية حقيقية تساعدهم على «الصعود» اجتماعياً، كما يقول علماء الاجتماع.

كان بوفرس «معلّماً» لتيّار بأكمله في الفلسفة الفرنسية، حيث يُعَدّ الاسم الذي أدخل عناصر الفلسفة التحليلية الأنغلوساكسونية، وفلسفة اللغة والذهن، إلى بلد مثل فرنسا كان منغلقاً على هذه التيّارات، ضمن تقسيم حادّ، لا يزال مستمرّاً حتّى اليوم، بين فلسفة قارّية (فرنسية وألمانية بشكل أساسي) وأخرى تحليلية، إنكليزية وأميركية في المقام الأوّل. ويُعَدّ صاحب «دراسات في فلسفة اللغة» (2013) من أوّل الأسماء التي التفتت، ضمن عوالم الأكاديمية الفرنسية، إلى اشتغالات الفيلسوف النمساوي لودفيغ فيتغنشتاين، حيث خصّص له أطروحته لنَيل درجة الدكتوراه، وقد حملت عنوان «أسطورة الجوّانية: التجربة، المعنى واللغة الخاصّة لدى فيتغنشتاين» وصدرت عام 1975، في وقت لم يكن فيه هذا الأخير معروفاً إلّا لدى قِلّة في فرنسا.

بدأ بوفرس حياته التدريسية معلّماً مساعداً في قسم الفلسفة بجامعة «باريس 1 بانتيون سوربون» (بدءاً من 1969)، قبل أن ينضمّ كباحث إلى «المركز الوطني للبحث العلمي» (عام 1971)، ثم ينتقل للتدريس في «جامعة جنيف» (1979)، قبل أن يعود إلى فرنسا معلّماً للفلسفة في جامعة باريس الأولى نفسها (1983)، ومن ثم مديراً لوحدة الدراسات المسمّاة «تاريخ وفلسفة العلوم» في «المركز الوطني للبحث العلمي» (1992). وقد تُوّجت مسيرته الأكاديمية هذه بتسميته أستاذاً في «كولّج دو فرانس» (1995). وقد أطلق على كرسيّه في هذه المؤسّسة اسم «كرسيّ فلسفة اللغة والمعرفة»، فيما عُدّ تجديداً في صرح لطالما كان قليل الانفتاح على هذا النمط من الاشتغال الفلسفي.

وبهذا، فقد استطاع بوفرس، باشتغالاته المتعدّدة على فلسفة اللغة والذهن، انتزاع شرعيّة لهذا الحقل الفلسفي، الذي لم يعد اليوم بحاجة لمَن يبحث عن تبرير لوجوده في فرنسا. وربما كان أبرز دليل على هذا أن كرسيّي الفلسفة الوحيدَيْن الموجودين في «كولّج دو فرانس» في يومنا هذا ينتميان إليه، وهما كرسيّ بوفرس نفسه الذي باتت تشغله تلميذته كلودين تيارسلان، و«كرسيّ فلسفة اللغة والذهن» الذي يشغله فرانسوا رُكاناتي. على غرار عنوان كتابه، «عن الفلسفة باعتبارها رياضة»، كانت تجربة بوفرس حافلةً بالجرأة والمواجهة، وهو الذي نشر ما يزيد عن خمسين كتاباً، لم يتوانَ في بعضها عن توجيه نقد شرس إلى بعض من «نجوم» الفلسفة القارّية الذين تعرّضوا لمفاهيم يقدّسها كمنطقيّ.

كان بوفرس «معلّماً» لتيّار بأكمله في الفلسفة الفرنسية

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

جاك بوفرس

فعاليات

يُلقي المعماري **رافي ارمودجيان**، عند العاشرة من مساء الاربعاء المقبل، محاضرة افتراضية بعنوان **رفعة الجادرجي، الحداثة والاقلمة**. يتناول المحاضر رؤى واساليب المعماري العراقي (1926 - 2020) بين مرحلتين اساسيتين، الاولى تتصل بتبنيه المدارس الحداثوية والأخرى سعى فيها إلى اقلمة العمارة المعاصرة.

ذكريات من بغداد عنوان حفلٍ يقدّمه المؤلّف الموسيقي وعازف البيانو العراقي **مصطفى منصور** افتراضيا عند الواحدة من ظهر بعد غد السبت. يؤدّي منصور مجموعة من المؤلّفات الكلاسيكية الذي تضمّنها البومه الاخير، ومن بينها: «ارواح ضائعة»، و«ملحمة اكتوبر»، و«آمال»، و«نسيم دجلة»، و«عشتار»، و«سوتا تا الاحرار»، و«الارملة العفيفة»، إلى جانب «ذكريات من بغداد».

حتى نهاية الشهر الجاري، يتواصل المعرض الافتراضي **آفاق تشكيلية في العمارة الإسلامية** بتنظيم من منصّتي «منارات لونية» و«مجلة تشكيل» في الكويت. تُعرض لوحات لثلاثين فناناً عربياً منهم: **ايوب الايوب** (اللوحة) من الكويت، و**زياد العنسي** من اليمن، و**شريف إسماعيل** من مصر، و**حسن بوجسوم** من قطر.

يطلق «المتحف الفلسطيني» في بيرزيت عند الحادية عشرة من صباح بعد غد السبت مدوّنة صوتية بعنوان **ذاكرة البرتقال** للباحثة **جنان السلوادي**. تستكشف المدونة رحلة لجوء السيدة **هدى بطشون** من يافا، وذاكرتها عن المكان، وعودتها اليه، وتطرح تساؤلات مثل: اين تختبئ الذاكرة؟ وكيف تعود «حادّة كسكين»؟